مختصر خطبة صلاة الجمعة 19/8/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(مفهوم الدنيا والآخرة)

عنوان خطبة اليوم: **مفهوم الدنيا والآخرة**

هل المسلم مطالب بالعمل للدنيا أو بالعمل للآخرة؟ هل يعارض العملُ للدنيا العملَ للآخرة؟ هل ذمّت الشريعة الدنيا؟

– كمالُ المسلم في أنْ يعمرَ دنياه ويسعى لآخرته، وليس بخيرنا من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه ولكن يصيب منهما جميعاً، فإنّ الدنيا بلاغ إلى الآخرة، وقد قرأنا في القرآن الكريم قول ربنا على سبيل الثناء: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201] وقولَه تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77] ففهمنا أنّ الإسلام يدعو المسلم ليجمع بين الدنيا والآخرة، ويعمل لهما.

وهاهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا رهبان الليل فرسان النهار، فيهم التاجر والصانع والعامل والغني والفقير، والأمير والأجير، وتراجم رجالات هذه الأمة مليئة بالقضاة الأئمة، وعلماء الفلك الخطباء، والمهندسين المؤذنين، والأطباء المفتين، والتجار الدعاة إلى الله، والملوك المنفقين في سبيل الله. والأدباء المنافحين عن دين الله.

فالحاصل أنّ المسلم مطالب بالعمل لدنياه والعمل لآخرته معاً.

– **أما سؤالنا: هل يعارض العملُ للدنيا العملَ للآخرة؟** فلم يكن في حسّ الأجيال الأولى ذلك الفاصل الحاد بين الدنيا والآخرة الذي أحسته الأجيال المتأخرة، لم يكن في حسهم أنّ هناك أعمالاً معينة للدنيا دون الآخرة، بل إنّ المسلم الأولَ كان يعمل العمل الدنيوي ويتراءى أمامه في اللحظة ذاتها موقعُ هذا العمل في الآخرة، فإن كانت عاقبته في الآخرة حسنة أمضاه وإن كانت سيئة تركه، وربما أخطأ فعمله فأسرع الفيئة والتوبة، لقد كانت صورة الآخرة تتحرك في ضمير المؤمن وهو يتحرك في عمله اليومي، يبصر بعينَي قلبه المحسنين في بيعهم وشرائهم وأخذهم وعطائهم يساقون إلى الجنة زمراً، ويبصر الفجار الذين يخونون ويظلمون ويعتدون ويكفرون وهم يسحبون فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، وبهذا الإيمان الراسخ بالآخرة وبهذه الصورة الفياضة كان المسلم يحيا لحظتَه في الدنيا ثم يعيش في التو جزاءها في الآخرة، ومن ثم صلحت أحوالهم وأعمالهم في الدنيا وصارت قريبة من المعجزات.

فالحاصل أنّ العمل للدنيا لا يعارض العمل للآخرة، بل عمل الدنيا بضوابطه الشرعية هو عينه العمل الذي يوصل لجنة الآخرة.

– **أما السؤال الثالث: هل ذمت الشريعة الدنيا؟** فإنّ لفظة الدنيا وردت في القرآن في خمس عشرة ومائةِ مرة، وليس في موضع منها ذم لها، بل جاءت الآيات مبينة حقيقة الدنيا حيناً، مظهرة فتنتها حيناً آخر، ملقية باللوم على من آثر دنياه على آخرته، داعية للتفكر فيها وفي أختها الآخرة، مبينةً الثواب والعقاب الذي يلحق المحسن والمسيء فيهما، حاثة المؤمن على أن يسأل ربه حسنة الدنيا والآخرة.

نعم، ذمّ الحديثُ الشريف الدنيا عندما تكون حائلاً بين الإنسان وإيمانه بالله واليوم الآخر، أو حين يجنيها من حيث يخالف أوامر ربه أو يبذلها لغير ما شرع ربه، ومدحَ الحديثُ الشريف الدنيا عندما تكون عوناً للعبد على سعادة الدارين، له وللآخرين، وعندما تعينه على نيل مرضاة الله تعالى، والحاصل أن الشريعة لم تذم الدنيا عندما تكون زاداً للجنان، وطريقاً للإحسان.

والحمد لله رب العالمين